أردوغان ومعركة الانفراد بالأضداد

يعاني المراقب للسياسة الخارجية التركية من صعوبة القبض على مسارات محددة يمكن من خلالها أن يرسم صورة واضحة لطبيعة هذه السياسة وتوجهاتها ومواقفها.ويتزايد هذا التشويش مع دخول (تركيا-أوردغان)بقوة على موجة الأحداث والتغيرات في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

د.نعمة العبادي

أعلن منظر ومخطط السياسية الخارجية التركية والأب الروحي لحزب العدالة والتنمية احمد داود أوغلو في كتابه (العمق الاستراتيجي..موقع تركيا في الساحة الدولية) عن ستة مبادئ قال عنها: يتعين على تركيا الالتزام بستة مبادئ حتى يتسنى لها تطبيق سياسة خارجية ايجابية وفعالة وهي:(مبدأ التوازن السليم بين الحرية والأمن)،و(تصفير المشكلات مع دول الجوار(أي صفر مشاكل))،و(التأثير في الأقاليم الداخلية والخارجية لدول الجوار)،و(السياسة الخارجيةمتعددة الأبعاد)،و(الدبلوماسية المتناغمة)،و(أسلوب دبلوماسي جديد).

يعقب أوغلو عند التعرض للمبدأ الثالث بعد أن يبين أسباب عدم تأثير تركيا في الشرق الأوسط بسبب حالة القطيعة بين العرب والأتراك ،ويشير إلى أن هذا التوجس والريبة والبرود بالعلاقة قد انتهى، ويفسر ذلك بقوله: "بيد أن الضرورات البراغماتية التي تولدت عن الحاجة إلى الدعم الدبلوماسي المتبادل فتحت الطريق أمام هذه العلاقات،وحطمت الحواجز التاريخية /النفسية،وهو ما جعل تركيا أكثر التزاما بسياسة شرق أوسطية فعالة منذ ٢٠٠٢".

إن كلمة الضرورات البراغماتية يمكنها أن تعين في تفسير هذا التذبذب والتقلب ،والوجوه المتعددة التي تلبسها السياسة التركية في المنطقة ،مما يلزمنا رصد حركة المنافع والمخاطر من المنظور التركي وعلى أساسها يمكن فهم واستشراف المواقف التركية ،وتوجهات سياستها الخارجية، وطبيعة المواقف التي تتخذها تركيا-اوردغان ،بحيث تكون متضادة تماما في بعض الأحيان. بعيدا عن البحث في تطبيق المبادئ الستة على سلوك أوردغان تجاه العراق في الفترة الأخيرة ،ومدى ملاءمة تصريحاته الاستفزازية لمبدأ تصفير المشاكل وللأسلوب الدبلوماسي الجديد،بل وللمواقف والمسيرة السابقة لنهج السياسة التركية تجاه العراق ما بعد نيسان ٢٠٠٣، لا بد من الانتباه إلى الحركة المريبة التي يحاول اوردغان توظيفها تجاه الحكومة العراقية.

صحيح أن اوردغان ليس وارثا شرعيا لمبدأ"فرق تسد"،لكنه وأسلافه ليسوا بعيدين عن توظيفه، فماذا تعني هذه الدعوات التي توجهها تركيا إلى القيادات العراقية في وقت تشتد فيه الأزمة إلى درجة التفكير بسحب السفراء وإغلاق السفارات؟وأي مقولة يريد تسويقها عندما يقول نحن لسنا ضد الشيعة وإنما ضد سياسة حكومة المالكي؟والى أين يريد أن يصل من خلال لعبة الانفراد بالأضداد ،فمرة دعوة للسيد النجيفي وأخرى للسيد عمار الحكيم ،وقد تتبعها دعوة جديدة للتيار الصدري أو لقوى سياسية أخرى؟

يقال أن السيد اوردغان عاطفي وانفعالي،وأن المواقف الأخيرة كانت ردود فعل انفعالية ولم تكن مواقف مبدئية وسياسة إستراتيجية لتركيا،فهل تؤكد الوقائع هذه الدعوى؟ويقال أن السيد احمد اوغلو غير راض عن مواقف اوردغان الأخيرة، وان رؤيته تتجه إلى التهدئة ،وان تقاطعا بينهما بشأن الموقف الأخيرة من العراق ،فهل يمكن أن تقود عقلانية اوغلو رئيس وزرائه إلى مراجعة متأنية وإعادة نظر؟ويقال أيضا، إن اوردغان حرص على توجيه دعوة إلى المرجعية في النجف الاشرف لغرض توضيح موقفه من شيعة العراق وأسباب تصريحاته الأخيرة،إلا أن المرجعية لم تستجيب لهذه الدعوة ولذلك عمد إلى دعوة السيد عمار الحكيم كبديل اقرب،فإذا ما صحت هذه الأخبار،إلى أين يريد أن يصل السيد أردوغان،هل يريد أن يصل إلى طمأنة الشيعة وتوضيح مواقفه أم إلى تفريق حلفاء السيد المالكي عنه ، وحصر المعركة معه ليظهر للعراقيين أن الموقف التركي ليس له منطلقات طائفية وإنما هو تقاطع في الأفكار واختلاف في الرأي حول الأداء السياسي؟

تركيا التي تعودت على دور الوسيط في الملفات الشائكة، ونقاشات خلف الكواليس والتي عملت نائبا في أكثر من مورد عن الولايات المتحدة الأمريكية وحلف الناتو والعربية السعودية وإسرائيل أحيانا،هل تحمل مشروعا ما من جهة أو جهات يتعلق بالأزمة العراقية الأخيرة وقضية الهاشمي والتفكير بحكومة الجديدة؟وإذا ما كانت هذه النبوءة صحيحة ،فما هو شكل المشروع التركي الجديد ومن يدعمه؟

ربما يقرب هذه النبوءة إلى الواقع ما أسميته لعبة الانفراد بالأضداد ،حيث يكون مقدمة هذا المشروع إقناع مكونات التحالف الوطني الأخرى ،(غير دولة القانون) إلى التفكير ببديل للسيد المالكي ،وقد تتضمن الصفقة إعطاء ضمانات بدعم ومساندة دولية وعربية وخصوصا من دول الخليج العربي عبر العراب التركي. في عرض للسيناريوهات الواقع العراقي بعد انسحاب القوات الأمريكية ،أشرت إلى أن واحدة من مؤشرات الحالة السيئة أن يزداد تجرؤ دول الجوار على التدخل بالشأن العراقي وخصوصا،تركيا وإيران ،فهل أن موجة التدخلات والتصريحات الجريئة التي يعج بها الفضاء العراقي هذه الأيام جاءت في هذا السياق ومن خلاله؟ وإذا كان الأمر هكذا بالفعل ،فماذا ينبغي على القوى العراقية أن تقوم به تجاه هذا الانزياح؟

مرة أخرى، أعود إلى الكلمة المهمة والمفتاح السحري الذي يمكن أن يفتح لنا أبواب الكثير من ألغاز السلوك الاوردغاني (الضرورات البراغماتية)، وأجر تحتها ثلاثة خطوط حمراء وأزيد من حجم الخط فيها،بل ألونها باللون الأحمر لتكون واضحة أمام أعين الجميع من القوى العراقية ،والذين قد يعتقدون خطأ أن (تركيا-اوردغان) يمكن أن تنطلق من توجه مذهبي ورؤية عقائدية تجعلها ملتزمة (إلى الأبد ومهما كان)،مصالح طرف أو جهة عراقية معينة، أو أن تدافع عن مكون عرقي معين،لكي يكون واضحا لديهم أن الضرورات البراغماتية لا تستحي أن تجمع إسرائيل وحماس في حضن واحد.

أردوغان-المالكي:ربيع تحالف لم يستمر طويلاً

لا أستهدف في هذا التحليل الدعوة إلى سياسية خارجية نظيفة وقيمية، وإن كنت اعتقد أن هذا هو الطريق الأصوب والأقرب إلى خير البلاد والعباد ، ولكني أبث إشارات وعي أمام المنخرطين في لعبة الانفراد بالأضداد أو المسحوبين إليها دون درايتهم ،وأدعوهم إلى تحكيم ضرورات العراق والعراقيين البراغماتية ،فهي أولى من كل الضرورات.

ختاما ،يمكننا أن نمضي بمسيرة الإصلاح والتصحيح إلى آخر المطاف،ومن المنطقي أن يتم التفكير بكل الخيارات لإخراج البلد من أزمته مهما كانت تلك الخيارات صعبة وباهظة الكلفة ،إلا أن المهم والضروري ،بل لا مناص منه ،أن تكون حلقات التفكير والنقاش ودائرة صنع القرار عراقية الهاجس والهموم والمنطلق والمسعى والإرادة ،وبعيدة عن الانصياع لأي رغبة خارجية أو تأثير جانبي،وليكن العراق للعراقيين فقط وفقط.

قرطاس

■ أحمد عبد الحسين

سينما

أمس في الندوة التي أقامتها "المدى" حول السينما العراقية أدركت مقدار اليأس الذي يستشعره سينمائيو العراق من إمكانية أن نكون .كسائر بلدان العالم حتى الفقيرة منها . منتجي سينما ولو بالحدّ الأدنى.

لا نحدّث أنفسنا في أن نكون كمصر طبعاً، فعجلة الإنتاج السينمائيّ التي دارتْ في الشقيقة الكبرى قبل قرن تقريباً رسّختْ هناك قواعد وأعرافاً، كوادر وأدوات إنتاج لن يقيّض لنا امتلاكها إلا بعمل دؤوب نسابق به الوقت لتعويض قرن من الفشل لم ننتج فيه سوى ١٠٠ فيلم فقط، أغلبها غير ذي سويّة فنية.

المناخ العراقيّ بعامة .سياسياً وأمنياً. لا يشجّع على ازدهار فنّ من الفنون، بل أن المجتمع العراقيّ نفسه وقد صار في قبضة قوى ارتكاسية مهيمنة، صار ينظر إلى الفنّ بازدراء مستعار من ازدراء ذوي القدم الراسخة في السياسة والعقيدة إلى الفنّ بعامة، وإلى السينما بخاصة.

إذا أردت أن تعرف آثار هذه النظرة فيكفي أن تعرف أن بغداد أصبحت بلا قاعات عرض سينمائيّ، حالنا حال بعض جيراننا ممن يحرّم فقهاؤها السينما.

أنشئ في العراق غُرف يزدري السينما، وهو أمر غريب، لأنّ كثيراً من سياسيينا وعلمائنا يترسمون خطى جارتنا الأخرى "إيران" في نواح كثيرة، عقائدياً وسياسياً، فلماذا لا يستوردون منها شغفها بالسينما وتسامح علمائها مع هذا الفنّ الراقي، وتشجيع ساستها لهم؟

قبل فترة ليست بعيدة التقى مرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي مجموعة من المشتغلين بالسينما، فقال لهم كلمة أرجو من أصحاب النفوذ لدينا الإصغاء لها جيداً، قال لهم "انتجوا أفلاماً .. اعملوا سينما .. اعملوا حتى نزيل المنبر!".

صعب أن نطلب من جماعتنا هنا أن يكونوا كخامنئي، فالرجل مثقف كبير، شاعر، وقد ترجم عن العربية كتباً مهمة، كما أن الكاتب الإيراني صادق زاده قد ذكر مرة في حوار تلفزيوني معه أن الخامنئيّ يمتلك ثقافة موسيقية مهمة وله دراية عميقة بالتراث الموسيقيّ الإيرانيّ. وهي ميّزات صعب أن تتوافر عند رجل دين "على الأقلّ في هذه الفترة المحتدمة طائفياً".

هناك استثناءات نادرة بالتأكيد. لن ننسى الكلام الذي قاله السيد عمار الحكيم قبل أيام عن ضرورة إعطاء الحرية للسينما العراقية، وهو كلام كان محرّضه على قوله فوز فيلم إيراني بجائزة أوسكار، وربما كان محرّضه الأكبر كلام الخامنئي الجريء الذي يريد للسينما أن تزيل المنبر.

العالم اليوم يفهم لغة السينما أكثر مما يفهم لغة المنابر، السيّد الخامنئي يدرك ذلك، والعالم يفقه قوة السينما أكثر مما يفقه قوة القنبلة النووية، بقي على أصحاب الشأن عندنا أن يتعلموا هذا الدرس، فأنا .لو كنت إيرانياً .كنت سأشعر بفخر عظيم لحظة إعلان اسم الفيلم الإيرانيّ الفائز في أوسكار أكثر من شعوري بالفخر لحظة إعلان مسؤول عن خطة إيرانية لغلق مضيق هرمز مثلاً، لأن اللحظة الأولى تصنع حياة، والثانية مقدمة لموت وشيك.

كاريكاتير

■ عادل صبري

المصير المشترك للثورات العربية

أوس عزالدين المانع

هناك سؤال مهم يلحّ على من يشهد الثورات العربية التي تجاوزت الحدود الجغرافية والاختلافات التفصيلية في كل بيئة عربية تختلف عن البيئة الأخرى ، مع أن الجامع الرئيسي بينها يذكر بما كان ينادي به رواد القومية العربية ومن تابعهم من الشراكة في الأرض والموروث والمصير المشترك .

وهنا لابد من التركيز على المصير المشترك الذي قد يكون عامل توحيد مهما وأساسيا في الفعل واتجاهه ، لكنه لم يعبّر أبدا عن شراكة في المصير تتجه إلى الوحدة بين الدول العربية ، وبصورة أدق بين الشعوب العربية ، والتي باتت تتحسس حاجاتها ويتأثر بعضها بالبعض الآخر ، ولكنها لم تفقد لدى كل شعب خصوصيتها الوطنية ، جغرافية كانت أو اقتصادية أو ثقافية ، مع سيادة القصد السياسي في حدود التفكير المحلي لها وخصوصيته .

إذن ، ما الذي وحّد الجهود الشعبية في اتساع رقعة الثورات الشعبية في أكثر من بلد عربي ؟ وهناك ثمة إجابات جاهزة وأخرى تأخذ بنظر الاعتبار تحليل هذه الظاهرة ومحاولة إيجاد أسباب لها ، وقد تتلاقى محاولات الإجابة عليها ، ولكنها على الأقل تحاول الإحاطة بهذه الظاهرة وتوقيتها ، ومن ذلك ما حلله أحد الباحثين في دراسته ((٢٠١١ عام الغضب العربي وثورات الشباب)) بثلاث نقاط رئيسية ، أولها ، الأوضاع العربية الداخلية وسوء الإدارة والتخلف والفساد الإداري والبطالة والقهر والاستبداد وسوء توزيع الثروات وغياب الديمقراطية ، وتقدم القيادات العربية في السن ، والتي لم تترك دورا للشباب في بناء وطنها على أسس حضارية وإنسانية معاصرة ، وثانيها ، عوامل الإحباط القومي وما أصاب الأمة من وهن وضعف وتجزئة ، وتغليب المصلحة القطرية على مصلحة الأمة العربية العليا في أمنها واستقرارها العسكري والمائي والغذائي والاجتماعي ، وتقديم التنازلات المجانية للغرب عموما على حساب الحقوق العربية من أجل البقاء في السلطة لأطول مدة ممكنة ، والسعي لتوريثها للأبناء والأحفاد من دون مراعاة الحق والكرامة وتقرير المصير ، وبناء مجتمع عربي تقدمي معاصر تراعى فيه مبادئ الديمقراطية وحرية الرأي والتعبير وحقوق الإنسان ، وأخيرا ، تطور وسائل الاتصالات وثورة المعلومات ، التي وفرت للشباب العربي فرصة الاطلاع على ثقافات أخرى وتبادل للمعلومات والحوار واللقاء والتفاهم بواسطة المواقع الاجتماعية المختلفة لشبكة الإنترنيت ، حيث تجمعهم آمال وثقافة ولغة واحدة ومشتركة .

وإذ تشير النقطة الأولى إلى حال المفارقة بين ما يجب أن تكون عليه السلطة وما صارت إليه من انحرافات من جهة ، والمفارقة بين عمر السلطة ورؤيتها وعمر الشباب وفئاته المختلفة واتجاه تفكيرهم ، لأنهم من الشباب ، وعدم تلبية طموحاتهم من جهة أخرى ، فإنها إشارة تتعلق بخصوصية محلية يندرج ضمنها سعي كل شعب في حدود ما يعبر عن قضاياه المختلفة ، ولكن إذا كانت المعادلة لقيام الثورة تقوم على قاعدة حداثة عمر الشباب وشيخوخة حكامها ونظمها ، متحققة في ثورات تونس ومصر وليبيا والبحرين واليمن ، فكيف الأمر في سوريا إذا ما استبعدنا من المعادلة عمر النظام واتجاهه ، لا عمر النظام الحاكم على الرغم من محاولات إصلاحه .

أما النقطة الثانية ، التي لا تتفق مع النقطة الأولى في اتساع أثرها القومي ((العربي)) ومغادرة المشاكل ((المحلية – الوطنية)) فإن الإحباط القومي للأمة يعاني ضعفا وتجزئة وتغليبا لنظرتها الضيقة على مصلحة الأمة العربية الواسعة في الأمن العسكري والمائي والغذائي والاجتماعي ، فضلا عن إرادتها السياسية ، وتقديم التنازلات المجانية للغرب المؤثرة من دون مراعاة الحقوق العربية لضمان بقاء طويل في السلطة وصولا إلى توريثها ، فإن هذا العامل يتصدع في بعض التجارب ، والتي أخذت تتجه إلى المجتمع الغربي لتسهيل التخلص من الأنظمة الاستبدادية من دون اللجوء إلى القوى العربية ، التي تخلت عن دورها والتي وضعت تحت دائرة التخويف منها ، وقلما التقت الإرادة العربية والغربية في التغيير إلا في التجربة الليبية ، مع ما أفرزته من ويلات .

وفي حين تخصصت النقطتان الأولى والثانية بالأسباب التي مثلت عوامل التحفيز للفعل الثوري ، فقد كانت النقطة الثالثة متخصصة بالأدوات التي شجعت على تفعيل بوادر الثورة وتسريعها ، وحتى هذا السبب أو العامل لم يكن بعيدا عن التوجيه في إدخاله سلاحا لا يمكن للسلطة أن تمسك به بسهولة أو تسيطر على تسريباته وقدرته على نقل المعلومة التي تحرك الجماهير وتحفزهم على الفعل الثوري وتشجعهم على المضي به إلى أقصى حد .

طلبة الجامعات والسياسة

سليمة قاسم

أصبحت الحركة الطلابية منذ وثبة كانون المجيدة معيناً لا ينضب لرفد الأحزاب السياسية بكادر متميز، وكان لطلبة الجامعات لاسيما الصيدلة والطب والشريعة دورفاعل في تحريك أحداث الوثبة التي انتهت بإسقاط الحكومة والمعاهدة معا. كانت الحكومات المتعاقبة تتعرف على نشاط القوى والأحزاب الوطنية من خلال طلبة الجامعات الذين مارسوا دورا كبيرا في توعية الناس و تعريفهم بحقوقهم المشروعة ، لكن هذا الحال نراه قد تغير بالكامل، فطلبة الجامعات اليوم يعيشون في واد آخر، فهم بعيدون عن التعاطي مع السياسة ، بغض النظر عن الصراعات التي حدثت وتحدث اليوم داخل الحرم الجامعي وهي صراعات طائفية في إطارها العام.

وهنا لابد من أن نتساءل عن أسباب القطيعة التي حصلت بين طلبة الجامعات والسياسة، ولماذا لايشاركون مثلا بتظاهرات ساحة التحرير، بحكم درجة وعيهم وتحصيلهم العلمي؟

وإذا ألقينا نظرة بسيطة على أوضاع الجامعات في العراق وطرفي المعادلة فيها الأستاذ والطالب، نجد أن الجامعة التي تعتبر مركزا لاستكمال الجوانب المعرفية والثقافية لدى طلبة المراحل الثانوية لتمكينهم من فهم المرحلة الجامعية للقيام بدورهم الريادي في المجتمع، تحولت منذ زمن الطاغية إلى مؤسسات للقهر والاستبداد ومسيّرة بقرارات النظام الحاكم وأصبحت أداة فاعلة اعتمدها النظام المباد لقمع الإنسان ومصادرة كرامته.

وبعد سقوط النظام أصبحت الجامعة بؤرة لتكريس الخلافات والأزمات بسبب قلة الوعي،وازدياد إنتاجها الكمي وقلة إنتاجها النوعي.

أما الأستاذ الجامعي وهو المحور الأساس في توجيه الأجيال الناشئة كونه رائدا من رواد عملية تغيير المجتمع ، أصبح هو الآخر تابعا للسلطة بهدف الحصول على امتيازات مادية يؤمنها النظام لمواليه وفرض تطبيق سياسة الحزب الحاكم ،وظهرت طبقة من الأساتذة الطفيليين الذين سخروا كل إمكاناتهم لخدمته وتحولوا إلى مخبرين سريين، وأصبح الانتماء الحزبي أهم من الكفاءة العلمية. أما من ظل محتفظا بمبادئه من الأساتذة فقد كان نصيبه التهميش أو الاستقالة أو السفر خارج البلد. وفي سنوات الحصار اضطر الكثير منهم إلى العمل في مهن لاتتناسب مع مستواهم العلمي كبائعي سجائر أو سائقي سيارة أجرة . ونتيجة لتلك الأسباب فقد تدنى المستوى العلمي للجامعة العراقية بشكل كبير ،فانقطع تواصلها مع التطورات الحاصلة في العالم بسبب تقليص الميزانية المخصصة لها ومنع التواصل مع العالم عبر الانترنت وتقليل البعثات الدراسية .

هذا التدني في المستوى العلمي للجامعة انعكس بشكل كبير على الطالب باعتباره المتلقي الأول، وظل وضع الجامعة بعد سقوط النظام يسير من سيئ إلى أسوأ، وأصبحت العلاقات الحزبية والمحسوبية تتحكم في توزيع المقاعد، سواء على الطلبة أم التدريسين. أما طرق التدريس ومناهجه فقد ظلت على طرازها التقليدي ولم تنجح في مواكبة حركة التطور العلمي التي يشهدها العالم المتقدم ، ونتيجة لذلك فقد وصل الجامعة الكثيرون ممن لا يجيدون سوى كتابة أسمائهم، بذلك نستطيع أن نقول إنه لم يبق من الجامعة غير اسمها .

فالمؤسسة العلمية ككل تأثرت بسياسات النظام المباد ثم جاءت المحاصصة لتجهز على ما تبقى، كل ذلك أضعف الحركة الفكرية عند طلبة الجامعات باعتبارهم جزءاً لايتجزأ من المجتمع الذي طحنته الحروب والحصار وتدنت مستويات الوعي فيه بشكل كبير، فأصبحت الجامعة لا تضم النخبة من الطلبة المتميزين بثقافتهم ووعيهم السياسي ،وهو السبب الأساس في حدوث القطيعة بينهم وبين السياسة.